# ازدهار مناهل العلوم العربية في ولاية زمفرا

د. يهوذا عبد الله محمد

## مقدمة:

زمفرا منطقة من مناطق شمال نيجيريا، وهي تقع على حدود ولاية صكتو شمالاً، وتحدها ولايتا كيبي و نيجرغرباً، كما تحدها ولاية كتشنا شرقاً، وولاية كدونا جنوباً. وأهل هذه المنطقة الأصليون ينسبون إلى كتشنا وغوبر، لأن بعض المصادر التاريخية تقول: "إن أباهم كان كتشناوياً، وأمهم كانت غوبرية"[i] وقد وهب الله هذه المنطقة معادن طبيعية نفيسة كالذهب وغيره، وأرضها خصبة صالحة للزراعة وجوها معتدل، ومناظرها رائعة، منها مرتفعات كيَاوَ في حكومة مَغَم المحلية، وغابات باغيغ في حكومة أنكا المحلية، والرواسي الشامخات بكَوتَرْكُوشي. وقد اشتهرت ولاية زمفرا بالتجارة والحرف اليدوية كالصباغة والدباغة والحياكة والخياطة والإسكافة والنسج ورعي المواشي كالبقر والغنم والمعز وغيرها من الأنعام.

كانت ولاية زمفرا تابعة لولاية صكتو قبل أن يتم فصلها عنها في العام ألف وتسعمئة وستة وتسعين (١٩٩٦م) في عهد الرئيس العسكري النيجيري الأسبق المرحوم الجنرال محمد ثاني أبتشة.[ii] وأغلب مساحتها الأرضية يابسة ويبلغ عدد سكانها أكثر من مليونين ومئتي ألف نسمة وفق احصاء العام ٢٠٠٥م. وتبلغ نسبة المسلمين منهم تسعا وتسعين في المئة، أما الواحد في المئة الباقي فمن الوثنيين الذين يسكنون بعض المناطق الجبلية، وعاصمة ولاية زمفرا الحالية هي بلدة غسو.[iii]

إن هذا المقال يحاول إلقاء الضوء على أحوال أهل زمفرا الإجتماعية والإقتصادية والدينية والثقافية والسياسية بالإضافة إلى تسليط الضوء على أحوال مناهل العلوم العربية في المنطقة. يناقش الباحث بعض المجهودات الذاتية الفردية والاهلية والحكومية التي ساعدت على تطور اللغة العربية وثقافتها في المنطقة.

### مصدر كلمة زمفرا ودلالاتها

اختلف اللغويون الهوساويون في تحديد مصدر كلمة زمفرا ودلالاتها وما اشتقت منه، إلا أنهم اتفقوا على أنها كلمة مركبة من كلمتين هما زَمَ و فَرَ، واختلفوا في ما اشتقت منه الكلمة الأولى وهي زَمَ إلى ثلاثة آراء. الرأي الأول يقول: إنها مشتقة من مصدر زَمَ الذي هو فعل أمر للمؤنث المفرد أي كوني. فأهل هذا الرأي يرون أن الكلمة مركبة من كلمتين اللتين ركبتا تركيباً إسنادياً في لغة الهوسا بمعنى كوني بيضاء. وأما الرأي الثاني فيرى أنها مركبة تركيباً إسنادياً من الفعل زَمُ، أي سنبدأ بلغة الهوسا. والرأي الثالث فهو يرى أنها كلمة مركبة تركيباً إضافياً، وهو أسطورة تقول كان توجد لأحد ملوك زمفرا بنت جميلة ذات بشرة بيضاء، وكلما جاءها خاطب يخطبها للزواج نشرت أخباره في أنحاء البلاد. فيقال مَزَن فَرَا، أي جاء خطاب البنت البيضاء، من هنا أصبحت الكلمة تطلق على المنطقة بأسرها منذ ذلك الوقت إلى يومنا هذا.[iv]

وهذا الراي الأخير هو الراجح بدليل أن هذه القصة صادرة عن الأسرة الحاكمة في البلاد، وهي مصدر من المصادر التاريخية المعتبرة في الأمة. ولأن أنشطة حياتها وحركاتها مسجلة تاريخيا، وبالتالي فإنه من عادة أبناء الملوك محاولة نيل محبة الجمهور مما يدفع الناس إلى أن يخوضوا في حديث الساعة عن أمور من نال هذه المحبة من أبناء الملوك، ولربما كانت هذه البنت من ضمن اللاتي حصلن على هذه الميزة من بين أخواتها لما لها من جمال فائق، لذلك توجه إليها انتباه النّاس في ذلكم الحين.

### الحياة في ولاية زمفرا

يتكون الشعب الزمفري شعبا من عدة قبائل نيجيرية، ولكل قبيلة بطونها، إلا أن هذه الدراسة ستتركز على أحوال أهل زمفرا الأصليين الذين يمثلون الغالبية العظمى في المنطقة، وهما قبيلتان الهوسا والفولاني. لغة الهوسا هي واحدة من لغات نيجيريا الثلاث وتفرعت عنها عدة لهجات، منها لهجة كتشنا ولهجة دورا

ولهجة كنو ولهجة غوبر ولهجة زكزك، ولهجة كيبي ولهجة صكتو ولهجة زمفرا، إلا أن هذه اللهجات كلها يطلق عليها لغة الهوسا.v وأما قبيلة فلاتية فتنقسم إلى قسمين، الفلاتي الرحل والفلاتي المقيم. فالقسم الأول هم أهل وبر يعيشون في البوادي ويشتغلون برعي المواشي والزراعة، لذا كانوا ينتقلون من مكان إلى آخر بحثاً عن المرعى والكلأ لمواشيهم. وأما القسم الثاني هم الذين يسكنون في المدن وتزاوجوا وتصاهروا مع قبيلة الهوسا في البلاد ولكن مع ذلك يحافظون على عاداتهم وتقاليدهم.vi ومن بطونهم سُلُّبَاوا، ومنها حُكُوبِي، وجَاتَبِي، ولُوبَرِبِي، ولُومُو وشَنْطِبِي. ومنهم بَبَاوَا وسِيمَاوَا و يُولاَرَبِي.

ومن الفلاتي من يمارسون التجارة والصناعة ومنهم من يشتغلون بالعلم والتعليم حتى ظهر من بينهم جهابذة العلماء في اللغة العربية والدراسات الإسلامية. والحق أن الدعوة الإسلامية وتدريس العلوم العربية والدينية لم ينالا انتشاراً واسعاً في بلاد الهوسا عامة إلا بعد سيطرة الفلانيين على ولايات الهوسا بقيادة الشيخ عثمان بن فودي.vii

لقبائل زمفرا علاقات إجتماعية وطيدة لأنهم يتعاملون مع بعضهم معاملة حسنة، لأن الظواهر الطبيعية توجب ذلك بين أفراد المجتمع في الأسواق والآفاق وتبادل المهن والحرف. لأنه من عادة العائلة الزمفرية تعليم أولادها كل ما تراه يفيدهم في حياتهم من الحرف اليدوية.

## الحياة الدينية والثقافية

منذ أن وصلت اللغة العربية إلى ولايات الهوسا عامة عقب مجئ الإسلام بدأت آثارها تظهر في كثير من جوانب حياة الشعوب المختلفة التي اعتنقت الإسلام، وقد كان شعب زمفرا من شعوب ولايات الهوسا في نيجيريا التي ظهرت فيها آثار اللغة العربية من عدة جوانب، ففي الجانب الديني تعتبر اللغة العربية شعيرة من شعائر الدين في زمفرا، حيث تتعلم ويعلم ويدرس بها علوم الدين.viii وأما من الناحية الثقافية فهي اللغة المستعملة في التأليف، والشاهد على ذلك هو وجود عدد كبير من مؤلفات علماء زمفرا المكتوبة باللغة العربية. وأما في الجانب السياسي فإنها لغة الدولة الرسمية في أيام الخلافة العثمانية بصكتو إذ كان تصدر بها المراسيم وتستخدم في الشؤون القضائية والمراسلات حيث كانت الإدارة العربية الإسلامية على قدر عظيم من الدقة في التنظيم الإداري والإقتصادي والسياسي والإجتماعي.ix والحق أن اللغة العربية تتمتع بأهمية بالغة في مجتمع زمفرا لكونها لغة القرآن الكريم ولغة التشريع الإسلامي. وما تحتله في الدين الإسلامي من مكانة مرموقة وضرورة استخدامها فيه، حيث تبدأ من أول مرة عند دخول الإنسان في الإسلام، لأنه من الضرورات المطلوبة منه بعد أن ينطق بكلمة الشهادة التي تخرجه من الظلمات إلى النور، وبعدها يتعلم بعض السور من القرآن لأداء الصلوات المفروضة التي فيها أعمال العبادات من التكبيرات والتسبيحات والتشهدات بالعربية.x

وقد لجأ أهل زمفرا إلى استعارة حروف اللغة العربية لكتابة شؤونهم التجارية والإقتصادية والسياسية، بالإضافة إلى البيان عن العلاقات العائلية و تسمى بأجم من العجمية، وهي كلمة عربية الأصل، من العَجَم و العُجَم معناه خلاف العرب وواحده عجمي، أي من ليس بعربي، وإن افصح بالعربية، وتطلق على من لا يفصح ولا يبين كلامه وإن كان من العرب. إلاّ أنّ شعب الهوسا حرفوا معناها فهي تعني عندهم كل ما يكتب بالحروف العربية في اللغات المحلية.xi كما حصل في مملكة كانم وبرنو لكتابة لغة الكانوري وفي الخلافة العثمانية بصكتو في كتابة اللغة الفلاتية واستعمله النوفى واليوربا ونلاحظ هنا أنّ الهوساوي سمى كتابته بـ"أجم" لأنها كانت ذات نقط وحركات يستعملها للتواصل و الإفصاح وإزالة الإبهام وحذف العين من أصل الكلمة "أعجم" لأنه ليس من أصوات لغة الهوسا كما تعود الهوساوي على إبدال حرف بحرف أسهل أو بعبارة أخرى بحرف من الحروف الموجودة في لغة الهوسا أو إزالته بالكلية. وكان أول ظهور قاموس هوسا بالعجمية في العام ١٩٠٦م. والمعلوم أن لغة الهوسا كانت تكتب بالعجمية منذ فترة ما قبل استيلاء بريطانيا على شمال نيجيريا.

## الحالة السياسية

إن الذي يتتبع تاريخ نظام الحكم السياسي في زمفرا عبر العصور التاريخية يستطيع أن يحصره في نوعين، هما: نظام الحكم الشعبي التقليدي الموروث كابرا عن كابر، ونظام الحكم الديمقراطي المعاصر الذي جاء به المستعمر بعد إستيلائه على البلاد ثم فرضه على الأمة بعد مغادرته في نهاية القرن العشرين.

كان نظام الحكم السياسي الشعبي التقليدي استقراطياً، حيث كان الحكام

فيه يتوارثون مناصبهم كابراً عن كابر ويبقى السلطان على كرسي حكمه ما دام هو قادرعلى الحفاظ على التوازن السياسي إلا أن مساعديه من كبار موالين له يساعدونه على تسيير أمور حكمه، ويعاونه قادة جنوده الذين يحافظون على أمن بلاده وكهنته الذين يشيرون إلى حركاته. وأما من الناحية القضائية فكبير كل أسرة هو قاضيها، وشيخ كل قبيلة هو حاكمها، وقاضي القضاة هو الأمير الذي يعتبر نفسه خليفة الله في أرضه. وليس لهذا النظام قانون مدون بل إنما يتناقله الاهالي شفاهة و يتوارثونه عن أسلافهم. xii

وأما نظام الحكم السياسي المعاصر الذي جاء به المستعمر بعد استيلائه على البلاد فهو النظام الذي يعرف بالنظام البرلمان البريطاني والديمقراطي الأمريكي الذي من سماته التعدد الحزبي، وتعتبر المعارضة فيه ركيزة من ركائزه الأساسي. وهو حكم الشعب بالشعب للشعب، ويقال إن هذا النظام يعطي الشعوب حقوق الحرية في العقيدة والتملك والرأي والحرية الشخصية للأفراد على اختلاف اتجاهاتهم ومذاهبهم.xiii

## مناهل العلوم العربية في ولاية زمفرا

إنه معلوم أن في إقليم كتشنا علماء أجلاء قبل مجئ الشيخ عثمان بن فودي الفلاتي بنحو مئة سنة أو يزيد،xiv وكانت قرية يَنْدُوتُوطَاهِ في إقليم كتشنا الغربي في القرن السابع عشر الميلادي مركزاً للعلوم العربية والإسلامية. وكان أمير كتشنا هو الذي يتولى أمور حكمها، وكان يرسل إليها حاكماً يتقلد منصب أُبَنْ دَوَاكِي، الذي يعتني بشؤون أهلها السياسية والإجتماعية نيابة عنه قبل أن يتم فصلها عن كتشنا في القرن الثامن عشر الميلادي،xv وقد اشتهرت هذه القرية بالعلم والتعليم منذ عهد قديم، حيث كان الناس يتوافدون إليها من كل فج عميق طلباً للعلم، فمن الذين وافدوا إليها الشيخ أحمد عمّ الشيخ عثمان بن فودي ومكث فيها حتى تزوج من أهلها قبل عودته إلى مسقط رأسه مدينة قُونِي في جمهورية النيجر الحالية. ولعل هذا مَن الأسباب التي دفعت الشيخ عثمان بن فودي إلى أن يلفت نظره إليها حيث حضرها هو وأخوه الشيخ عبد الله بن فودي وبعض أنصارهما.

## المدارس الدهليزية في زمفرا

كان في الماضي نوعان من المدارس في زمفرا، المدرسة الدهليزية، وتسمى أيضاً بالكتاتيب، وهي المدرسة القرآنية ؛ وأخرى هي مدرسة العلوم والفنون. فالمدرسة القرآنية هي المدرسة الإبتدائية التي يتعلم الأطفال الصغار فيها مبادئ الكتابة والقراءة حيث يرتادونها صباحاً ومساءً في بيوت العلماء الذين يعكفون على تدريسهم ويلازمونهم حتى يختموا قراءة القرآن سرداً من المصحف أو حفظاً عن ظهر قلب. وإذا ختم التلميذ المتعلم للقرآن أقام والده للختم وليمة عظيمة يحضرها زملاء التلميذ ليشاركوه الفرح وليرغبوا الآخرين في الجدّ والإجتهاد حتى الختم. ومن المدارس القرآنية الدهليزية أو الكتاتيب في زمفرا مدرسة القرآن لمالم إبراهيم نَنْغَارِي غُسَوْ، وزاوية الشيخ علي مَيْ كَانْتِي غُسَوْ، وزاوية الشيخ عمر بَافَاشِي جُوْمِي، وزاوية الشيخ داود فأس، وزاوية الشيخ أبو بكر طَنْ مَيْ طَاكِي غِيلَنْغِي، وزاوية الشيخ إبراهيم قَيَا قَوْزَانَمُوْدَا، وزاوية مالم بَمْبَا قَوْزَا، وزاوية الشيخ إبراهيم الرُومي إمام طَاهِ. ونظام تدريس قراءة القرآن في الكتاتيب نظام قديم في زمفرا. منها ينتقل التلميذ إلى النوع الثاني وهو مدرسة العلوم التي هي المدرسة الثانوية التخصصية حيث يتعلم الكبار فيها مبادئ التوحيد والفقه والحديث والتفسير والتاريخ الإسلامي بالإضافة إلى الدراسات العربية بشتى أنواعها ليكونوا على دراية تامة بأمور دينهم ودنياهم، وليفهموا ما يقولون في صلاتهم اليومية باللغة العربية من آذان وإقامة وتهليل وقنوت.

وقلما تجد في الماضي غير ابناء العلماء من يجمع بين دراسة القرآن وتعلم علوم الدين، والدليل على ذلك هو أن غيرهم إذا ختم القرآن يعود إلى مزاولة حرفة من الحرف كالتجارة أو الزراعة أو الصناعة أو أي عمل آخر يناسبه. وأما أبناء العلماء فإنهم يستمرون في طلب العلم حتى يحصلوا على قسط وافر منه، ليكونوا علماء ماهرين أجلاء في اللغة العربية والدين الإسلامي. وهم يتبعون في ذلك كله منهج أهل المغرب، الذي يقول فيه ابن خلدون: "أما أهل المغرب فمذهبهم الإقتصار على تعليم القرآن فقط وأخذهم أثناء الدراسة بالرسم ومسائله واختلاف حملة القرآن فيه، لا يخلطون ذلك بسواه في شيء من مجالس تعليمهم لا من حديث وفقه وشعر ولا من كلام العرب حتى يجاوزوا البلوغ إلى الشبيبة." xvi

فنظام التعليم العربي الزمفري الدهليزي لا يخلط فيه القرآن بشيء من

العلوم بل يقدم الدراسة على استظهاره حفظاً أو استطراده سرداً والإكتفاء بحفظ بعض السور القصار لتأدية الصلاة المفروضة. كان أهالي زمفرا في الماضي لا يخلطون قراءة القرآن بدراسة التوحيد والفقه والحديث واللغة العربية. وهذا وافق قول البروفيسور شيخو أحمد سعيد غلادنثي في كتابه "حركة اللغة العربية في نيجيريا:

"تلك المدارس التي أصبحت ميداناً للتدريب يتدرب فيها الشباب والكبار على السواء، ويبدأ الصبي المرحلة الأولية وهي المدارس القرآنية"

توجد مدارس العلوم في زمفرا في المدن أكثر من القرى، ويتصدى للتدريس فيها من تفوق في قواعد اللغة العربية وآدابها، وأصول الشريعة الإسلامية من التفسير والحديث والفقه وأصوله، وغير ذلك. من هنا نبغ العلماء في زمفرا حيث وجد فيها مدارس العلوم بشتى أنواعها. وفتح علماؤها أبواب بيوتهم على مصاريعها ولكل من يحب العلم على حسب رغبته ومستواه يجد العناية الكافية عند هؤلاء العلماء الفحول الذين ندبوا أنفسهم لهذه المهمة، وعن هذا المشهد يقول الشيخ عبد الله بن فودي معبراً عن عصره:

**ومدارس أضني بحب شهودها**

**فيها نجاح حوائج المتحوج**[xvii]

وقد كان نظام هذه المدارس كلها في الماضي حرّاً ومفتوحاً حيث يستطيع الطالب من خلاله أن ينتقل من مدرسة إلى أخرى، أو من مجلس عالم إلى كل عالم آخر حسب حاجته وبغيته وتخصصاته.

## المدارس الإسلامية النظامية في ولاية زمفرا

فتحت المدارس القرآنية الدهليزية في كثير من مناطق زمفرا وفقا لنظام الكتاتيب التقليدي في الماضي، وفي العصر الحالي أدخل النظام الجديد والمعاصر المتبع في المدارس الإسلامية النظامية، وهو نظام ذو أصالة من نظم الإصلاحات التي ظهرت في أوربا منذ القرن الثامن عشر الميلادي، وامتدّ إلى البلاد العربية في أواسط القرن التاسع عشر الميلادي، وعرف في نيجيريا في أوائل القرن العشرين الميلادي. والحق أن نشأة المدارس الإسلامية النظامية في زمفرا كانت نتيجة للمجهودات التي بذلتها طائفة من علماء زمفرا الذين نالوا حظًّا وافرًا من العلم في الدراسات العربية والإسلامية والمتحمسين للتعليم الإسلامي والعربي. لأنهم لاحظوا أن الحكومة الإستعمارية قد أهملت المدارس القرآنية الدهليزية ومدارس العلوم العربية ولم تقدم لها أي معونة لا مادية ولا معنوية لعدم الإعتراف بها، فصارت المعاهد التي تدرس فيها العلوم العربية والإسلامية لا تحظى بأي إعتبار وصار المتخرجون فيها يعيشون على هامش المجتمع. ويعدون من سقط المتاع ويبغضون هذه المدارس إلى أبنائهم، وليس هذا فحسب بل لا يوظف من تخرج فيها إلاّ كنوع من ذر الرماد في العيون، في حين أنها كانت تقدم كل المساعدات للمدارس الإرساليات، ويوظف من تخرج فيها في الحكومة والشركات التجارية، وفرضت لغتها على المواطنين بحجة أنها هي لغة التفاهم بين قبائل نيجيرية، بعد أن كانت اللغة العربية هي اللغة الرسمية في دولة صكتو وإمبراطورية كانم وبرنو.

بهذه المناسبة يجدر بنا ذكر المجهودات التي بذلها المرحوم الشيخ بلاربي بن عبد القادر غسو (١٩١٥م-١٩٨٧م) الذي أسس مدرسته الإسلامية النظامية منذ سنة ١٩٥٦م. وسماها بمدرسة حزب الرحيم.

بدأت هذه المدرسة نشاطها بمقرها الدائم الواقع بين حارتي بِرْنِنْ رُوَا و كَنْوُرِنْ سَرْكِي غُسَوْ بعدد قليل لا يتجاوز عشرة تلاميذ، إلا أن بعض طوائف من العلماء والمثقفين ساهموا في إحيائها بآرائهم السديدة حتى شارك بعضهم في التدريس فيها مجانًا.

كان المرحوم السيد محمد مرتضى (ت٢٠٠٠م) بن مالم شعيب مديرها الأول الذي سار بذمتها نحو الخير والنظام. والسيد عثمان تمبوال هو مديرها الحالي. وقد اقتصرت هذه المدرسة على تدريس شتى العلوم العربية والإسلامية لا العلوم المدنية. ونظام الدراسة فيها على ثلاث فترات في كل عام دراسي لمدة خمسة أيام دراسية في الأسبوع من يوم السبت إلى يوم الأربعاء. وإن هذه المدرسة قامت بدور مهم في تثقيف أبناء زمفرا بالنشاطات الدينية والثقافية حتى وجد من بينهم من ينوب عن ولاية زمفرا في مسابقات حفظ القرآن الكريم وطنيًا ودوليًا وقد فاز بعضهم فيها وتحصلوا على الجوائز الثمينة. وكثير من خريجيها واصلوا تعليمهم في الكليات والجامعات النيجيرية على اختلاف مستوياتها.

### كلية أمهات المؤمنين للدراسات العربية والإسلامية

أسسها مالم عمر عبد الله في العام ٢٠٠٠م بالتعاون مع بعض الأفراد في مدينة غسو، وكانت في البداية مدرسة إبتدائية ثم فتح فيها القسم الإعدادي، ثم القسم الثانوي. والمواد التي تدرس فيها هي: القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، والتاريخ الإسلامي، والسيرة النبوية والإملاء والإنشاء والخط والفقه والبلاغة والصرف والنحو والمنطق والعروض والرياضيات والإنجليزية. وقد خرجت أول دفعاتها في العام ٢٠٠٦م

### مركز النساء التربوي للدراسات العربية والإسلامية

أنشأه مالم محمد بشير الملقب بـ نور الأولاد في العام ٢٠٠١م، في حارة تُدُنْوَدَا غسو، والغرض من تأسيسه هو تعليم أبناء المسلمين ونسائهم مبادئ الدين الإسلامي وعلوم اللغة العربية وآدابها؛ حتى ينشأوا متحلين بالأخلاق الإسلامية والثقافة العربية. بدأ هذا المركز بالقسم الإبتدائي، ثم فتح فيه القسم الثانوي الذي ينقسم إلى قسمين: الإعدادي والثانوي. وقد نجح هذا المركزفي تحقيق أهدافه من توفير المدرسين المدربين في القيام بتدريس اللغة العربية والدراسات الإسلامية في المدارس الإبتدائية الحكومية والإسلامية الخاصة في أنحاء زمفرا، وهكذا واصل بعض خريجيها دراستهم في الكليات والجامعات في نيجيريا وخارجها، ثم أصبحوا مدرسين في المدارس الثانوية والمتوسطة، وبعضهم يشتغل مناصب عالية في الوزارات الحكومية كوزارات التربية والتعليم، والعدل والخارجية والداخلية وغيرها.

إن هذه المدارس العربية والإسلامية لا تزال تقوم ببناء الوطن وخدمة أمته من نواحي الحياة شتى، كتربية الأولاد والأطفال والشباب والنساء وإعداد المعلمين التربويين الأكفاء الذين يعملون في المدارس الحكومية والخاصة في زمفرا وغيرها من ولايات نيجيريا.

فالجهود الذاتية القائمة من واقع وعي علماء زمفرا بقيت مغروسة في نفوس المعلمين الدهليزيين ومنهم إلى شباب الكتاتيب ثم انتقلت إلى مدارس تحفيظ القرآن الحديثة، وكذلك المدارس الفقهية العلمية وفرض نفسه على حكومة زمفرا بدرجة متفاوتة حتى اعترفت بالواقع التاريخي والإجتماعي، وأدركت الأوضاع في نظام التعليم والحياة واستهدفت تلقي الجهود الذاتية التي تقوم بها المدارس القرآنية الدهليزية والعربية الفقهية العلمية مع جهود المدارس الإسلامية النظامية والهيئات العلمية الحكومية الأهلية في نفع مواطن زمفرا.

من هنا اهتمت حكومة زمفرا بالرأي العام تجاه الثقافة العربية حيث تساعد في تيسير تعليم اللغة العربية وآدابها إلى جانب الدراسات الإسلامية ووضعت ذلك كله في مناهج التعليم في مدارسها الإبتدائية والمتوسطة والثانوية والكلية. بل ظلت تشرف على المدارس الحكومية خاصة للغة العربية التي ورثتها من حكومة صكتو. ومنها كلية معلمات اللغة العربية وكلية معلمي اللغة العربية وكلاهما في غسو، والمعهد العربي في كُوتَركُوشِي ثم فتحت أقسام الدراسات العربية في كلية التربية التقنية الفيدرالية في غسو وكلية التربية والتعليم مَرُو، وكلية الشريعة والقانون والدراسات الإسلامية غسو، وكلية اللغة العربية في زُرمِي.

### من أعلام العربية في ولاية زمفرا

يوجد في ولاية زمفرا جهابذة من علماء العربية الذين وصلوا بعلمهم مبلغ تدريس فنون العربية وعلومها كلها. وألفوا في شتى مجالاتها مع أن بعضهم لم يجاوزوا حدود أوطانهم لفرض طلب العلم وإن فعل ذلك بعضهم، حيث تلقى بعضهم علومه في زمفرا وغيرها من مدن نيجيريا الأخرى كزاريا وكنو وبرنو وكتشنا، ومنهم من نال علومه خارج نيجيريا كمصر والسودان وليبيا والسعودية والسنغال. فهذه البيئة الزمفرية قد خرجت كثيرًا من العلماء والسلاطين والحكام والقضاة والمثقفين المؤهلين في اللغة العربية وآدابها الذين ساهموا اسهامات كثيرة في تطوير حياة شعب زمفرا في جوانب الحياة المتعددة. فمنهم الشيخ عبد الرحمن بن هاشم الزمفري، والشيخ أحمد بن محمد بن هاشم الزمفري، الذي كان من أشهر علماء زمفرا في القرن الثامن عشر الميلادي والذي أخذ الشيخ عثمان بن فودي عنه علم التفسير وغيره من العلوم الإسلامية.[xviii] ومن علماء زمفرا في القرن السابع عشر الميلادي محمد سمبو بن عبد الله الذي ذهب إلى الحج وأقام في الحرم لمدة بضع عشر سنة ثم توفي هناك في العام ١٧٩٢م. ومنهم محمد سمبو بن الشفا الذي كان من مؤسسي مدينة غسو ومن المهاجرين من قرية يَنْدُوتُو إليها وهو أميرغسو زمفرا الأول، توفي عام ١٨٢٧م فخلفه ابنه عبد القادر في العام ذاته.

ومنهم محمد مصطفى بن محمد مرتضى أمير غسو زمفرا الخامس الذي تولى حكمها من العام ١٨٨٧م-١٩٠٠م وهو من أحفاد محمد سمبو بن الشفا. ومن أشهر أعلام اللغة العربية في زمفرا في القرن العشرين:

١-الشيخ محمد بلاربي بن عبد القادر غسو (١٩١٥م-١٩٨٧م) هو من كبار علماء زمفرا في مدينة غسو، وهوصاحب مدرسة حزب الرحيم، وهي زاوية مشهورة شاهدة على مدى مساهمته الفاعلة في نشر الثقافة العربية والإسلامية في زمفرا وخارجها، وله مؤلفات، منها: "مرآة النظر على نور البصر" وهو قصيدة في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، ذكر فيه معجزاته وغزواته وسراياه وحبه. وقصيدته: "كنز الأسرار في نشر الأنوار" التي نظمها في مدح الشيخ أحمد التجاني، وله كتاب آخر هو "تنوير الألباب" وهو كتاب منظوم في القضايا المتعلقة بالصوفية.

٢-الشيخ أبو بكر محمود جومي (١٩٢٢م-١٩٩٢م) وهو أيضًا من كبار علماء زمفرا في القرن العشرين، مع أنه مشهور في نيجيريا بأسرها، فقد ساهم في نشر اللغة العربية والثقافة الإسلامية والدعوة إلى الدين الإسلامي. وله مؤلفات، منها: "رد الأذهان إلى معاني القرآن"وهو تفسير للقرآن يتضمن أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم في بيان بعض الآيات، ووجوه القراءات، وأسباب النزول والمسائل الفقهية. وقد تمت ترجمته إلى لغة الهوسا، كما ترجم الشيخ أبوبكر محمود جومي أربعين حديثا للإمام النووي إلى لغة الهوسا، وكتاب نور الألباب للشيخ عثمان بن فودي إلى لغة الهوسا، وكتابه "العقيدة الصحيحة بموافقة الشريعة"، وهذا الكتاب الأخير يتضمن موضوعات عديدة، منها: الحديث عن النبوة والرسالة والولاية وبيان عن الإيمان والبدع المذمومة، وتفسير بعض الآيات القرآنية. وكتابه " الإسلام وما يبطله" تحدث فيه عن العقيدة وكلمة الشهادة وما يرسخها وما يبطلها، وغير ذلك.

٣-القاضي علي بن محمد الثاني غسو (١٩١٧م-١٩٨٥) وهو من القضاة المتقدمين من أهل مدينة غسو، مارس مهنة القضاء منذ العام ١٩٤١م بعد تخرجه في مدرسة القضاء بصكتو، ثم اشتغل بهذه الوظيفة إلى أن توفي في العام ١٩٨٥م. فمن مؤلفاته: "روض المديح" وهو تخميس لدالية الشيخ عثمان بن فودي في مدح خير البرية صلى الله عليه وسلم. وله تخميس آخر للدالية نفسها سماه "روض المديح في مدح الفاتح الخاتم" وكتابه "تفريج الأحباء في مدح خير الأنبياء" صلى الله عليه وسلم.

٤-القاضي عبد القادر بن محمد الثاني غسو (١٩٢٧م-١٩٩٩م) وهو الأخ الأصغر للقاضي علي بن محمد الثاني غسو، اشتغل بمهنة القضاء من العام (١٩٧٠-١٩٨٢م) ثم تقاعد عن العمل وأسس معهدًا عربيًا ثم توفي في العام ١٩٩٩م. من مؤلفاته: "كتاب أزهار الروضة في مدح صاحب الفيضة" وكتابه "عنوان الزمان في مدح قطب الأوان"، وهما ديوانان في مدح الشيخ إبراهيم إنياس الكولخي، وله ديوان آخر: "قرة العينين في مدح خاتم الختمين" في مدح الشيخ إبراهيم إنياس، وديوانه في مدح خير العباد صلى الله عليه وسلم.

٥-الحاج محمد بلُّو أبو بكر كَنْوَا. وهو من خريجي كلية المعلمين العربية بصكتو عام ١٩٧١م، وكلية عبد الله بايرو كَنُو عام ١٩٧٨م، وله مصنفات منها: "الحجج الصكتية في الرد على من زعم أن أمير المؤمنين محمد بلُّو تمسك بالتجانية" و "الحجج الصكتية في الرد على منكر الطرق الصوفية" و "تنوير الخاطر في وجوب التقليد بالأكابر" و "أسرار المعاني في الحقيقة المحمدية".

## الخاتمة

يمكن القول بعد دراسة أحوال بيئة زمفرا وأهلها الإجتماعية والإقتصادية والدينية والثقافية والسياسية، أنّ المقال ناقش أحوال مصادر ومناهل العلوم العربية وأعلامها حيث تحدث عن أحوال المدارس القرآنية الدهليزية والكتاتيب والمدارس الفقهية والعربية حيث اكتشف الباحث بعض المجهودات الذاتية التي بذلها بعض علماء زمفرا الأجلاء في مجال محو الأمية لإزالة ما أصاب مجتمع زمفرا من الجمود والركود في العقود الأولى بعد دخول المستعمر في المنطقة بعد ما نالت اللغة العربية من مجد والمكانة المرموقة عند أهل المنطقة. وأكد لنا المقال أن التعلم والتعليم العربي الإسلامي قد سبقا كل نوع

من أنواع التعليم في ولاية زمفرا.

والآن قد أدركنا أن اللغة العربية تطورت في زمفرا من نواحي ثلاث:

أ- ناحية إنشاء المدارس العربية والإسلامية من قبل الأفراد والجماعات.

ب- ناحية القيام بتدريس اللغة العربية والدراسات الإسلامية في بيوت العلماء والمساجد والحلقات والزوايا بالمنطقة.

ج- ناحية الحكومات المحلية التي شيدت بعض المدارس لتدريس اللغة العربية والدراسات الإسلامية.

## الهوامش

i السلطان، محمد بلو إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور ص ٤٦

ii موداثي، محمد صالح الثقافة العربية وآدابها في ولاية زمفرا، بحث علمي قدم لقسم اللغة العربية ، جامعة بايرو كانو، نيجيريا للحصول على درجة اللسانس في اللغة العربية عام ٢٠٠٣م ص ١٥

iii كلمة غسو في لغة هوسا تعني الإنتقال من مكان إلى آخر لغرض الحصول على خير

iv مقابلة شفهية أجريتها مع الحاج ثاني طن مسني شنكافي في يوم الأحد ٢\٥\٢٠١٥م

v موداثي، محمد صالح المرجع السابق ص ١٠

vi الإلوري، آدم عبد الله (الشيخ) الإسلام في نيجيريا وعثمان بن فودي الطبعة الثانية ١٩٧٨م ص ٦١

vii علي آدم أبو بشر، عبد الله بن فودي النحوي النيجيري في ضوء كتابه "البحر المحيط" رسالة قدمت لقسم الدراسات العربية والإسلامية بجامعة ميدغري نيجيريا للحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية ١٩٨٧م ص ١٩

viii محمد، يهوذا عبد الله تطور الثقافة العربية في منطقة زمفرا رسالة قدمت لقسم الدراسات العربية والإسلامية جامعة ميدغري نيجيريا للحصول على درجة الدكتوراه في اللغة العربية ٢٠١٣م ص ١١٠

ix المرجع السابق ص ١١١

x المرجع السابق ص ١٣

xi دائرة معارف هوسا لدون ١٩٣٧م

xii المرجع السابق ص ٩٩

xiii محمد، يهوذا عبد الله المرجع السابق ص ١١٥

xiv المرجع السابق ص. ٩٩

xv مرتضى شعبان من آداب مصطفى ابن الشيخ بلاربي غسو، بحث تكميلي قدم لقسم اللغة العربية جامعة عثمان بن فودي صكتو للحصول على درجة اللسانس في اللغة العربية وآدابها عام ٢٠٠٦م ص ٤

xvi المرجع السابق ص ٥٣

xvii محمد صالح حسين الحصن الرصين في علم التصريف للشيخ عبد الله بن فودي: تحقيق وشرح الطبعة الأولى بيروت ١٩٩٤م ص ٥٠

آدم محمد جبريل سراج الإخوان في أهم ما يحتاج إليه في هذا الزمان للشيخ عثمان بن فودي: دراسة وتحقيق مطبعة الممتاز للنشر والتوزيع،

ميدغري نيجيريا الطبعة الأولى ٢٠١٠م ص ١٣xviii